ثم انه لما اجاب عنه بان قال لسان الذي يلحدون اليه اعجمي الاية واللسان وان كان اسماً
لجارحة التكلم الا ان العرب يطلقونه على اللغة والالحاد في اللغة الميل يقال لحد والحد
اذا مال عن القصد ومنه يقال للعادل عن الحق ملحد اي مائل وقراءة حمزة والكسائي يلحدون
بفتح الياء والحاء اي يميلون من الميل وقراءة الباقون بضم الياء وكسر الحاء والالحاد قد يكون
بمعنى الامالة قال صاحب الكشاف يقال الحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال
حفره عن الاستواء والاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن
الاستقامة فيقال الحد فلان في قوله والحد في فعله ودينه ومنه الملحد لانه امال
مذهبه عن الاديان كلها فعلى هذا يكون كل واحد من الحد ولحد متعدياً وقرئ
في هذه الاية بالقولين قال الفراء يميلون من الميل فقال الزجاج يميلون من الامالة
فيقدر له مفعول اي يميلون اليه القران او يميلون قولهم عن الاستقامة اليه وكون اللغة
اعجمية عبارة عن كونها مبهمة لا يفصح المراد منها والاعجم الذي لا يفصح مراده ولا يبين كلامه
وان كان عربياً واشار المص اليه بقوله لغة الرجل الذي ذكروه لسان اعجمي غير بين اي
لغة فيها عجمة وابهام لا يعرف السامع منها شيئاً قوله ما تلقفه اي ما اخذ وتناوله بشر ثمة
بين المص ما زعمه المشركون من انه عم تعلم القران من بشر ثم ادعى انه اوحى اليه بواسطة
الملك بوجهين الاول ان القران المبين كيف يكون ماخوذا ممن لسانه اعجمي غير بين ومن
المعلوم ان المعاني البينة الواضحة لا يوخذ ممن لا يعرف لغته ولسانه ولكنا اذا سلمنا
انه اخذ تلك المعاني باستماع الكلام الاعجمي الذي هو لا يفهم هو ولا انتم لكن لا نم انه اخذ
منه لفظ القران البالغ لفظه لكونه فائقا على درجات الجنان الفصاحة والبلاغة
يمتنع ان يكون كلام البشر ثم اشار الى بطلانه ذلك بوجوه اخر الاول ان تعلم ما في القران
من العلوم الكثيرة والمعاني الدقيقة لا يتاتى ان تحصل في بعض اوقات مرور المتعلم على
المعلم بل يحتاج الى ملازمته مدة متطاولة ولو كان الامر كذلك لاشتهر بين الخلق
انه عم من فلان وفلان ولم ينقل احد بذلك سواهم والثاني ان تعلم تلك العلوم الكثيرة متعلقة
باحوال جميع المكلفين في النشاتين لا يتصور الا من عالم بلغ في غاية الفضل والتحقيق الى
حيث يكون مشارا اليه بالبنان ويخضع له اهل الدنيا باجمعهم فكيف يذهب الوهم الى تعلمها من
غلام سوقي يدعى بعبد فلان باستماع كلمات اعجمية يعلمها ولم يعرفا معناها قوله لا يهديهم الله
الى الحق لعنادهم ومكابرتهم لانهم كانوا ايضا يردون بايات الله ويكابرونها ويكذبون مع علمهم
انها ايات الله وانها حق ويحتمل ان يكون في قوم علم الله انهم لا يومنون ويموتون عليه فمن علم

علم الله منه ذلك لا يهديه قوله اولئك اشارة الى الذين كفروا لانهم المذكورون بقوله ان الذين لا يومنون
اولى قريش لان سياق الكلام فيهم لانهم هم الذين قالوا انما انت مفتر وقالوا انما يعلمه بشر
والمشار اليه على الاول وان كان متناولا لقريش وغيرهم الا انهم يدخلون فيه دخولا اوليا
ان يقال انه اثبت افتراء الكذب للذين يومنون حيث قالوا انما يفترى الكذب الذين لا
يومنون فما فائدة قوله بعد ذلك واولئك هم الكاذبون اليس هو مستدركا خاليا عن الفائدة
على وجه يندفع الاستدراك ووجه اندفاعه على تقدير ان يكون الاشارة الى قريش ظاهر
لانهم لما نسبوا الكذب والافتراء اليه عم بقولهم انما انت مفتر قلب الله تعالى ذلك الامر عليهم
وجعل قوله انما يفترى الكذب الذين لا يومنون مقدمة كلية تتفرع عليها المقصود
كانه يقول انهم لا يومنون بايات الله وكل من لا يومن بها فهم الذين يفترون الكذب
فهؤلاء هم المفترون الكاذبون لا انت فلا استدراك ووجه اندفاعه على تقدير ان يكون
الاشارة الى الذين لا يومنون بايات ان مضمون الجملة الاولى ان افتراء الكذب انما يصدر
الا عن الذين لا يومنون بايات الله لا يصدر عمن امن بها لان خوف العقاب يردعه عنه
ومضمون الثانية حصر الجماعة الذين يعرفهم المخاطب انهم الكاذبون في الذين كفروا بناء
على ان يكون تعريف الكاذبون للعهد الخارجي واشار المص اليه بقوله هم الكاذبون على
الحقيقة وان كان التعريف للجنس فيه تعريف الجنس والحقيقة بان يكون الكاذبون
اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة الكاذبين وخصوصيتها ثم يكون مضمون الثانية
حصر تلك الحقيقة فيهم مبالغة كما في قولك عمرو الشجاع اي الكامل في الشجاعة يخرج الكلام في صورة
توهم ان الشجاعة منحصرة فيه لا يتجاوزه الى غيره لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها
لقصورها عن رتبة الكمال فكذلك الحال في قوله تعالى واولئك الكاذبون واليه اشار
بقوله او الكاملون في الكذب وعلى التقديرين تفيد الجملة غير ما افادته الاولى فلا استدراك
وكذا ان اريد بالثانية اولئك الذين عادتهم الكذب واستمروا عليه بناء على انه عبر عن المسند
في الجملة الاولى بلفظ الفعل الدال على الحدوث وعدم الدوام وفي الثانية عن المسند بالجملة الاسمية
الدالة على الاستمرار والوجه الرابع لاندفاع الاستدراك ان ما اسند للذين كفروا في الجملة الاولى
هو مطلق الكذب وانما اثبت لهم في الثانية هو الكذب المخصوص الواقع في قولهم انما انت مفتر وانما
يعلمه بشر وفي الاية دليل على ان الكذب من اكبر الكبائر وافحش الفواحش لان كلمة انما للحصر تدل
على ان الكذب والفرية لا يقدم عليه الا من كان كافرا بايات الله تعالى وهذا تهديد عظيم روى الامام
محي السنة في تفسيره ان عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المومن يزني قال قد يكون ذلك قلت

Copyright © King Saud University